

دلائل الإعجاز

له من غَيْرِ أَنْ يُقْصِدَ النِّصَّ عَلَى مَعْلُومٍ . وكذلك قولُه تعالى : (وَأَنْزَلْنَاهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنْزَلْنَاهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا) وقوله : (وَأَنْزَلْنَاهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى) المعنى : هو الذي منه الإحياءُ والإماتةُ والإغناءُ والإقناءُ . وهكذا كلُّ موضع كان القصدُ فيه أن يثبتَ المعنى في نفسه فِعْلاً للشَّيْءِ وأن يُخْبَرَ بأنَّ من شأنه أن يكونَ منه أو لا يكونَ إلاَّ منه أو لا يكونَ منه . فإنَّ الفعلَ لا يُعَدُّ هُنَا لِأَنَّ تَعْدِيَتَهُ تُنْقِصُ الغرضَ وتُغَيِّرُ المعنى . ألا ترى أنك إذا قلتَ : هو يُعطي الدنانيرَ كان المعنى على أنك قصدتَ أن تُعْلمَ السامعَ أنَّ الدنانيرَ تدخلُ في عطائه أو أنه يعطيها خصوصاً دونَ غيرها وكان غرضُك على الجملة بيانَ جنسِ ما تناوله الإعطاءُ لا الإعطاءَ في نفسه . ولم يكن كلامُك مع مَنْ نفى أن يكونَ كان منه إعطاءً بوجهٍ من الوجوه بل مع مَنْ أثبتَ له إعطاءً . إلا أنه لم يثبتْ إعطاءَ الدنانيرِ فاعرف ذلك فإنه أصلٌ كبيرٌ عظيمٌ النفعِ . فهذا قسمٌ من خلوصِ الفعلِ عن المفعولِ وهو أن لا يكونَ له مفعولٌ يُمَكِّنُ النِّصَّ عليه . وقسمٌ ثانٍ وهو أن يكونَ له مفعولٌ مقصودٌ قاصدهُ معلومٌ . إلا أنه يُحْدِثُ من اللفظِ لدليلِ الحالِ عليه وينقاسُ إلى جَلِيٍّ لا صنعةَ فيه وخَفِيٍّ تدخلُه الصَّنعةُ . فمثالُ الجَلِيِّ قولُهُم : أصغيتُ إليه : وهم يُريدونَ أذني و : أغصيتُ عليه : والمعنى جفني . وأمَّا الخَفِيُّ الذي تدخلُه الصَّنعةُ فيتفننن ويتنوّسَع . فنوعٌ منه أن تذكرَ الفعلَ وفي نفسك له مفعولٌ مخصوصٌ قد علمَ مكانه إمَّا لجَرِيٍّ ذَكَرٍ أو دَلِيلٍ حالٍ . إلا أنك تُنْزِئُ سِيَّهَ نَفْسِكَ وتخفيه وتؤهِّمُ أنك لم تذكرَ ذلك الفعلَ إلا لأنَّ تثبتَ نفسَ معناه من غيرِ أن تُعَدِّسَ يَهَ إلى شيءٍ أو تعرضَ فيه لمفعولٍ . ومثاله قولُ البحتري - الخفيف - :

(شَجَّوْهُ حُسَّادَهُ وَغِيظُ عِدَاهُ ... أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعُ وَاعٍ) .

المعنى : لا محالة أن يرى مُبْصِرٌ محاسنَه ويسمعُ واعٍ أخبارَه وأوصافَه . ولكنَّك

تعلمُ